﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

[النحل: 98]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الاستِعاذَة تصونُ قارئَ القرآنِ من الوسوسة

لَمّا ذَكَرَ تَعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: 89]، وذَكَرَ أشْياءَ مِمّا بَيَّنَ في الكِتابِ، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾، فأرشَدَ إلى العَمَلِ الَّذي بِهِ تَخْلُصُ أعْمالُهُ عَنِ الوَساوِسِ، وما يَصونُ بِهِ القارِئُ قِراءَتَهُ مِن وسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ونَزْغِهِ؛ فخاطَبَ السّامِعَ بِالاسْتِعاذَةِ مِنهُ إذا أخَذَ في القِراءَةِ؛ فإنْ كانَ الخِطابُ لِلرَّسولِ ﷺ لَفْظًا، فالمُرادُ أُمَّتُهُ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾: (عوذ): أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على مَعْنًى واحِدٍ، وهو الالتِجاءُ إلى غَيْرِه والاعتِصامُ بِهِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيءٍ، أوْ لازَمَهُ؛ قالَ الخَليلُ: تَقولُ: أعوذُ بِاللهِ - جَلَّ ثَناؤُهُ - أيْ: ألْجَأُ إليه ﷻ عَوْذًا أو عِياذًا؛ وذَكَرَ أيْضًا أنَّهُم يَقولونَ: فُلانٌ عِياذٌ لَكَ أيْ: مَلْجَأٌ[2]؛ والعَوذَة والمَعاذَةُ: الَّتي يُعَوَّذُ بِها الإنسانُ مِنْ فزَعٍ أوْ جُنونٍ[3]؛ وضِدُّ العَوْذِ: اللَّوْذُ، وهو طَلَبُ الخَيْرِ؛ والمَعاذُ: المَلْجَأُ والحِصْنُ[4]، والمقصودُ بالعَوْذِ في الآية: اللَّجَأُ إلى ما يَعْصِمُ ويَقي مِنْ أمرٍ مُضِرٍّ؛ والمُراد به: طَلَبُ العَوْذِ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم[5].

2) ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: (شطن): أصْلٌ مُطَّرِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على البُعْدِ؛ يُقالُ: شَطَنَتِ الدّارُ تَشْطُنُ شُطونًا إذا غَرَبَتْ؛ ونَوًى شَطونٌ، أي:

(1) الفخر الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 20/ 116، وأبو حَيّان، البحر المحيط: 5/ 517.
(2) الخليل، والعين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عوذ).
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (عوذ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (عوذ).
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 275.

بَعيدَةٌ[1]؛ والشَّيْطانُ: اسْمٌ لِلْجِنّيِّ الكافِرِ المَخْلوقِ مِن النّارِ، مَأْخوذٌ مِن الشَّطَنِ، وهو: البُعْدُ، أيْ: بَعُدَ عن الخَيْرِ؛ أو مِن الحَبْلِ الطَّويلِ[2]، كأنَّه طالَ في الشَّرِّ، ومنه سُمّيَ بذلك لِبُعْدِهِ عن الحَقِّ وتَمَرُّدِهِ؛ وكُلُّ عاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِن الجِنِّ والإنْسِ والدَّوابِّ فهو شَيْطانٌ، يُقال: شَيْطَنَ الرَّجلُ، وتَشَيْطَنَ: إذا صارَ كالشَّيطانِ، وفَعَلَ فِعْلَه؛ وقيلَ: مَأْخوذٌ مِن شاطَ، يَشيطُ إذا هَلَكَ واحْتَرَقَ[3]، والمقصود بـ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في الآية: اسْمٌ لِلْجِنّيِّ الكافِرِ المَخْلوقِ مِن النّارِ.

3) ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: (رجم): أصلٌ واحِدٌ يَرْجِعُ إلى وجْهٍ واحِدٍ، وهو الرَّميُ بِالحِجارَةِ، ثُمَّ يُسْتَعارُ ذَلِكَ؛ مِن ذلكَ الرِّجامُ، وهيَ الحِجارَةُ، يُقالُ: رُجِمَ فُلانٌ إذا ضُرِبَ بالحِجارَةِ[4]؛ والرَّجَمُ - بفتْح الجيم -: القَبْرُ، سُمّي رَجَمًا لما يُجْمَعُ عليهِ من الأحْجار والرِّجام[5]؛ والرَّجمُ أيضًا: السَّبُّ والشَّتْم، ومنه قَولُه تعالى حكاية عَن أبي إبراهيم لابنِهِ إبراهيم عليه السلام: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: 46]، أي: لأسُبَّنَّكَ، وأشْتُمَنَّكَ؛ والرَّجْم كذلك: اسْم لما يُرْجَمُ بِهِ الشَّيْءُ المرجومُ، وجمعه: رُجومٌ؛ والرَّجيم في نعت الشَّيْطان: المرجومُ بالنُّجوم[6]؛ والرَّجيمُ أيضًا: المُحَقَّرُ، لأنَّ العَرَبَ كانوا إذا احْتَقَروا أحدًا حَصَبوهُ بِالحَصْباءِ[7]، والمرادُ بـ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ في الآية: المَطْرودُ، وهو كنايَةٌ عَنِ الحَقارَةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخطابُ في الآية وما ماثَلها من الآيات موجَّهٌ إلى كلِّ مُكلَّفٍ

الالتجاءُ إلى الله تعالى والاعتصامُ به من وسْوَسةِ الشَّيطان

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شطن).
(2) الخليل، العين، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (شطن).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزبيديُّ، تاج العروس: (شطن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رجم).
(5) الخليل، العين، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 30.

يبلُغُه، وأوَّلهم الرَّسول ﷺ؛ وقيل: إنَّه موجَّهٌ إلى الرَّسول، والمُرادُ أُمَّته؛ يقولُ الحقُّ سبحانه: فإذا أردْتَ قِراءةَ القُرآنِ - يا مُحمَّدُ ﷺ - فالتَجِئْ إلى المَعبودِ الحقِّ سُبحانَه، واستَجِرْ به مِنْ كُلِّ جانٍّ مُتمَرِّدٍ مَطرودٍ عن كلِّ خَيرٍ، حتَّى لا يَصرِفَك بوَساوِسِه عن تدبُّرِ القُرآنِ والانتفاعِ به[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوَصْل بالفاء:

الاستعاذةُ مِن جملة الأعمال الصّالحة الَّتي يجْزِلُ اللهُ عليها الثَّواب

الفاءُ في صَدْر الآية تفريعيَّة، وأبانَ الزَّمخشريُّ عن وجْه بلاغةِ الوَصْل بها، فقال: "لَمّا ذَكَر العملَ الصالح، ووَعَدَ عليه؛ وصَل به قولَه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ إيذانًا بأنَّ الاستعاذةَ من جُملَةِ الأعمالِ الصّالحةِ الَّتي يجْزِلُ اللّه عليها الثَّواب"[2]؛ ولأنَّ قراءةَ القرآنِ الكريم مِن أفضل الأعمالِ، فطَلَبَ الاستعاذةَ عنْدَ قراءته ليُحْفَظ مِن الضَّياع المُتَرَتِّب على الوَساوِس الشَّيطانيَّة، والمعنى: إذا عَلِمت أنَّ جزيل الجَزاءِ وعظيمَ الأجر على فضائل الأعمالِ ومحاسنِها؛ فاستعذْ باللّه من الشَّيطان الرَّجيم عنْدَ قراءة القرآنِ الَّذي هو أحسنُ الأعمالِ، وأزكاها[3].

أُتْبِعَ إنزالُ الكتاب الجامع لصفات الكمال بِبَيانِ كيْفيَّة الشُّروع بتلاوته

ويرى الطّيبيُّ - ووافقه ابنُ عاشور - أنَّه "يُمكن أن يُقال: إنَّ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ مُتَّصِلٌ بالفاء بما سبق من قولِه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النّحل: 89]، وذلك أنَّه تعالى لمّا مَنَّ عليه - صلوات اللّه عليه - بإنْزالِ كتابٍ جامعٍ لصفات الكمالِ، وأنَّه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 357، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 174، 175، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 3/ 240.

(2) الزَّمخشريُّ، الكَشّاف: 3/ 472.

(3) الصّاويُّ، حاشية على تفسير الجلالين: 2/ 52.

تِبْيانٌ لكلِّ شيءٍ، ونَبَّهَ على كوْنه تِبْيانًا لكلِّ شيءٍ بالكلمة الجامعة، وهي قوله سبحانه: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النّحل: 90]، وعطف عليه قولَه سبحانه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النّحل: 91]، وأكَّده ذلك التَّأكيد، قال بعد ذلك: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ﴾؛ أيْ: إذا شَرَعْت في قراءة هذا الكتابِ الشَّريفِ الجامعِ الَّذي نَبَّهْتُ على بعض ما اشتَمل عليه، ونازَعَك فيه الشَّيطانُ بهَمزِه ونَفْخِه ونَفْثِه، فاستَعِذْ باللّه، والمقصودُ: إرشادُ الأُمَّة"[1].

إيثارُ التَّعبير بـ (إذا) على (إنْ):

المُسلم لا ينقطِعُ عن قراءة القرآنِ الكريمِ

أوثر التَّعبيرُ بحَرْف التَّحقيق (إذا) على حَرْف الشَّك (إنْ) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ للتَّأكيد على قراءة القرآنِ، وعَدَم انقطاعِ المسلم عن قراءتِه، وعَدَمِ هَجْرِه.

سِرُّ التَّعبير عن إرادةِ الفِعْل بالفِعْل:

الإرادةُ لا تكونُ إلّا مقارِنةً لِلفعل ولا تكونُ سابِقةً عليه

عُبِّرَ عن إرادة الفِعْل بالفِعْل في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ لِاقترانِ الفِعْل بالقَصْد والإرادةِ دونَ فاصلٍ، وهذا ما عَبَّر عنه الزَّمخشريُّ بقوله: "لأنَّ الفعلَ يوجد عند القَصْدِ والإرادةِ بغير فاصلٍ وعلى حَسبه، فكان منه بسببٍ قويٍّ وملابسةٍ ظاهرة"[2]؛ أيْ: إنَّ الإرادةَ لا تكون إلّا مُقارِنَةً للفعل، ولا تكون سابقةً عليه[3].

ومِن شواهد حَذْفِ الإرادة لدَلالة المقام عليها قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6]، أيْ: إذا أردتُم القيامَ إلى الصَّلاة فاغسلوا وُجوهَكُم وأيْديكُم، وقولُه تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف: 4]؛ أيْ: أردنا إهلاكَها، فجاءها بأسُنا.

(1) الطِّيبيُّ، فتوح الغيب: 9/ 192، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 274 - 275.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 3/ 472.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 47.

بلاغةُ المجاز المُرسَل:

في الجملة الشَّرطيَّة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ مجازٌ مُرسَلٌ، حيثُ عُبِّر عن إرادة قراءةِ القرآنِ بالقراءة عَلى طَريقَةِ إطْلاقِ اسْمِ المُسَبَّبِ عَلى السَّبَبِ، إيذانًا بِأنَّ المُرادَ: هي الإرادَةُ المُتَّصِلَةُ بِالقِراءَةِ[1].

المقصودُ الإرادَةُ المتَّصِلَةُ بِالقِراءَةِ

دلالة التَّعبير عن فعل القراءة بالماضي:

عُبِّر عن فعل القراءةِ بالماضي: ﴿قَرَأْتَ﴾؛ للإشارة إلى تَحَقُّق قراءةِ المسلمِ للقرآن، والتَّأكيدِ على صِلَته بِكِتاب رَبِّه، وعَدمِ انقطاعِه عنه، وتوافرِ رغبته في الإقبال عليه، وتقْويَةِ صِلَتِه به.

تَوافُرُ رَغْبَةِ المُخاطَب في الإقْبال على القرآن، وتقويَة صِلَتِه به

إيثار فِعْل القراءةِ على التِّلاوة:

أوثِر فِعْلُ القراءةِ على فِعْل التِّلاوةِ في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ لأنَّ القراءةَ أعَمُّ مِن التِّلاوة، فالتِّلاوة فيها مَلْمَحٌ دَلاليٌّ زائدٌ، هو مَلْمَحُ الاتِّباعِ، فالتِّلاوة قراءةٌ على نَحْوٍ مخصوصٍ[2].

القراءةُ أعَمُّ مِن التِّلاوة

وَجْها تعريفِ القرآنِ وإظهارِه:

لَقد مَنَّ الله تعالى عَلى النَّبي ﷺ بإنْزالِ كتابِه الجامعِ لِصفاتِ الكَمالِ، التِّبْيانِ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ لأنَّ القرآنَ الجَمعُ والضَّم، وبهذا يَظْهَر فائدةُ تعريفِ القرآن وإظهارِه[3]؛ وكذلك فإظْهارُ "اسْمِ القُرْآنِ دونَ أنْ يُضْمَرَ لِلْكِتاب: لأجْلِ بُعْدِ المُعادِ"[4].

معنى القرآنِ الجَمعُ والضَّمُّ

معنى الفاء ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾:

يَدُلُّ ظاهِرُ هَذِهِ الآيَةِ عَلى أنَّ الاسْتِعاذَةَ بَعْدَ قِراءَةِ القُرْآنِ، وعليه تكون الفاءُ في قَوْلِه تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ للتَّعْقيب؛ والفائِدَةُ فيه أنَّهُ إذا قَرَأَ القُرْآنَ اسْتَحَقَّ بِهِ ثَوابًا عَظيمًا، فإنْ لَم يَأْتِ بِالاسْتِعاذَةِ

الراجحُ في الاستعاذة أنْ تكونَ قبل القراءةِ لا بَعْدَها

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 399.
(2) محمد داود، معجم الفروق الدَّلاليَّة في القرآن الكريم، ص: 159.
(3) الطِّيبيُّ، فُتوح الغَيْب، حاشية على تفسير الكشّاف: 9/ 193.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 274.

وقَعَتِ الوَسْوَسَةُ في قَلْبِهِ، وتِلْكَ الوَسْوَسَةُ تُحْبِطُ ثَوابَ القِراءَةِ؛ أمّا إذا اسْتَعاذَ بَعْدَ القِراءَةِ انْدَفَعَتِ الوَساوِسُ، وبَقِيَ الثَّوابُ مَصونًا عَنِ الإحْباطِ[1]؛ إلّا أنَّ أكثرَ الصَّحابة والتّابعين على أنَّ الاستعاذةَ قبلَ القراءةِ لا بَعْدها، قال ابن جُزَيٍّ: "﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾، ظاهرُ اللَّفظ أن يُستعاذ بعدَ القراءةِ، لأنَّ (الفاء) تقتضي التَّرتيبَ؛ وقد شَذَّ قومٌ، فأخذوا بذلك، وجُمهورُ الأُمَّة على أنَّ الاستعاذةَ قبلَ القراءةِ، وتأويلُ الآيةِ: إذا أردت قراءةَ القرآنِ فاستعذْ باللّٰه"[2].

الاستعاذة عَوْنٌ على القراءة

والوجه أنَّ (الفاء) واقعة في جواب الشَّرط، فهي في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ فاءُ الإفصاح، لأنَّها تُفْصِح عن شرطٍ مُقَدَّرٍ؛ أيْ: إذا اتَّجهت بالعمل الصّالح والقولِ الصالح - أيْ إلى القرآن - ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[3].

بيانُ التَّعبير بالأمر ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾:

الاستعاذةُ مندوبة عند القراءة وغيرها من القُرَب، لصونها من عمل الشيطان

معنى ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: امتنِعْ به، وتحصَّنْ، واعتصم به، والجَأْ إليه، واستَجِرْ؛ والأمرُ في ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ للنَّدب والاستحباب - وإن كان ظاهرُه الوجوبَ[4] - عندَ قراءةِ القرآنِ مُطلَقًا في الصَّلاة وغيرها[5]؛ وتخصيصُ قراءةِ القرآنِ من بين الأعمال الصّالحة بالاستعاذة عند إرادتِها: للتَّنْبيه على أنَّها لسائر الأعمالِ الصّالحة

(1) الفخر الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 20/ 116، وابن عادل، اللُّباب في علوم الكِتاب: 12/ 155.

(2) ابن جُزَيٍّ، التَّسهيل في علوم التَّنزيل، ص: 442.

(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4266.

(4) اختلف أهلُ العلم في حكم الاستعاذةِ عندَ القراءةِ، فجمهورُ أهلِ العلمِ من الصَّحابة والتّابعين، ومَن بعدَهم، على أنَّ الاستعاذةَ مُستحبَّةٌ، قبلَ كلِّ قراءةٍ للقرآن، سواءٌ كان ذلك في الصَّلاة، أو خارجها، وذهب بعضُ أهل العلمِ إلى أنَّها واجبةٌ في الصَّلاة وخارجها، منهم عطاءٌ، واختاره ابنُ حزمٍ في المحلّى، وانتصر له، وقد استدلَّ مَن ذهب إلى هذا القولِ بظاهرِ الآيةِ، والأمرُ يقتضي الوجوبَ، كما استدلّوا بمواظبة الرَّسولِ ﷺ على التَّعوُّذ وتعليمِه ذلك لأصحابه، وبأنَّ شرَّ الشَّيطان يجب دفعُه بكلِّ وسيلةٍ، وأعظمُ وسيلةٍ لدفعه هي اللجوءُ إلى الله، والاستعاذةُ به من شرِّ الشَّيطان، وما لا يتمُّ الواجبُ إلّا به فهو واجب، سليمان اللّاحم، اللُّباب في تفسير الاستعاذة والبسْمَلةِ وفاتحةِ الكتاب، ص: 53، 54.

(5) الصّاويُّ، حاشية على تفسير الجلالين: 2/ 52.

عندَ إرادتها أهَمُّ؛ لأنَّه إذا وقع الأمرُ بها عند قراءة القرآنِ الَّذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه: كانت عندَ إرادةِ غيرِه أوْلى[1].

ومن ناحيةٍ أخرى، جاء الأمرُ بالاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم على وجه الخصوص؛ لأنَّ قراءةَ القرآنِ وتدبُّرَ معانيه وهداياتِه هو محضُ الخير الذي يرجوه المؤمنُ؛ والاستعاذةُ في هذا الموضعِ من شأنِها أن تُحَصِّنَ المسلمَ، وتَضمَنَ عدمَ اقترابِ الشيطانِ منه وهو يقرأُ آياتِ ربِّه سبحانه، وتُبعِدَ عنه زَيغَ الشيطان ووساوسَه في فهمِها.

عَوْدُ الضَّمير في ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾:

الإشارة إلى أهمِّيَّة الاستعاذة بتوجيهِ الأمرِ بها إلى المعصوم ﷺ

طَلَبُ الاستعاذة هو مِن قَبيل العملِ الصّالح المطلوبِ مِن الذُّكور والإناث لِطيبِ حياةِ الدّارَيْن؛ والمُخاطَبُ بالأمر: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ هو الرَّسول ﷺ، وإنَّما خوطِب به ﷺ للدَّلالة على فضْل هذا العمل، وأنَّ غيرَه تابعٌ له فيه بحَسَب الذّاتِ والزَّمان، وتأكيدٌ للحَثِّ عليه؛ لأنَّه إذا أُمِر بالاستعاذةِ المعصومُ ﷺ لِدَفْع وساوسِ الشَّيطانِ، فكيف بِسائرِ أُمَّتِه؟[2].

دلالةُ السِّين في ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾:

العَوْذُ اللَّجَأُ إلى ما يَعْصِمُ، ويَقِي مِن أمرٍ مُضِرٍّ

السِّينُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ لِطَلَب الاستعاذة، أيْ: فاطْلُب اللُّجوءَ إلى الله، واطْلُب منه الحمايةَ والوقايةَ مِنَ الشَّيْطانِ، "والعَوْذُ: اللَّجَأُ إلى ما يَعْصِمُ، ويَقي مِن أمرٍ مُضِرٍّ"[3].

سِرُّ إيثارِ لَفظِ (أعوذ) في الاستعاذة:

لَفْظُ (أعوذُ) مِن صِيَغِ الإنْشاءِ

أوثر في الاستعاذة اللَّفظُ الَّذي يُضارِع صيغةَ الامتثال (أعوذ)، لأنَّه من صيَغ الإنشاء بِما يَدُلُّ عَلى طَلَبِ العَوْذِ؛ وقد فصَّل ابن عاشور

(1) القنوجيُّ، فتْح البيان: 7/ 314.
(2) الشِّهاب الخفاجيُّ، عِناية القاضي: 5/ 368، والشَّوْكانيُّ، فتْح القدير: 2/ 801.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 275.

هذا بقوله: "ومِن أحْسَنِ الامتِثالِ مُحاكاةُ صيغَةِ الأمرِ فيما هو مِن قَبيلِ الأقْوالِ بِحَيْثُ لا يُغَيِّرُ إلّا التَّغْييرَ الَّذي لا مَناصَ مِنهُ، فتَكونُ مُحاكاةُ لَفْظِ (اسْتَعِذْ) بِما يَدُلُّ عَلى طَلَبِ العَوْذِ بِأنْ يُقالَ: أسْتعيذ، أوْ: أعوذُ، فاخْتيرَ لَفْظُ أعوذُ؛ لِأنَّهُ مِن صيَغِ الإنْشاءِ، ففيهِ إنْشاء الطَّلب بِخِلاف لَفْظِ أسْتَعيذُ؛ فإنَّهُ أخْفَى في إنْشاءِ الطَّلب عَلى أنَّه اقْتِداءٌ بِما في الآيَةِ الأُخْرى ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المؤمنون: 97]، وأبْقى ما عَدا ذَلِكَ مِن ألْفاظِ آيَةِ الاسْتِعاذَةِ عَلى حالِهِ، وهَذا أبْدَعُ الأمثالِ، فقَدْ ورَدَ في عَمَلِ النَّبي ﷺ بِهَذا الأمرِ أنَّهُ كانَ يَقولُ: "أعوذُ باللّه مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم" يُحاكي لَفْظَ هَذِهِ الآيَةِ، ولَم يَقُلْ في الاسْتِعاذَةِ: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المؤمنون: 97]؛ لِأنَّ ذَلِكَ في غَيْرِ قِراءَةِ القُرْآنِ، ولَم يُحاكِهِ النَّبيُّ ﷺ في اسْتِعاذَتِه لِلْقِراءَةِ"[1].

دِلالة الباء:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ لِتَعْدِيَةِ فِعْلِ الاسْتِعاذَةِ، يُقالُ: عاذَ بِحِصْنٍ، وعاذَ بِالحَرَمِ؛ ومَعْنى طَلَبِ العَوْذِ باللّه مُحاوَلَةُ العَوْذِ بِهِ، ولا يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ في جانِبِ اللّه إلّا بِالدُّعاءِ أنْ يُعيذَه[2].

طلب العوذ باللّه تعالى لا يُتصوَّرُ إلّا بالدعاء

سِرُّ إيثارِ اسم الجلالةِ وإظهارِه:

أوثر اسمُ الجلالة - في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ - الدّالُّ على الكمال والجَلال: للتَّرغيب في الاستعاذة به، والحَثِّ عليها ﴿بِٱللَّهِ﴾؛ وكأنَّه قال: "سَلِ الَّذي لَهُ الكَمالُ كُلُّهُ أنْ يُعيذَكَ"[3].

الترغيبُ في الاستعاذة بالله تعالى

دلالة ﴿مِنَ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ بيانيَّة؛ حيث بَيَّنَت جِنْسَ المُستعاذِ منه - وهو الشَّيْطانُ الرَّجيم - وعَمَّمَته.

بيان المستعاذ منه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 276.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 275.
(3) البِقاعيُّ، نَظْم الدُّرَر: 11/ 250.

نُكْتتا تعريف الشَّيطان، ووَصْفِه بالرَّجيم:

لِجَميعِ المَرَدَةِ مِنَ الشَّياطِينِ حَظٌّ في الوَسْوَسَةِ

المُرادُ بالشَّيْطانِ في هَذِهِ الآيَةِ: إبْليسُ؛ والأقْرَبُ أنَّهُ لِلْجِنْسِ، لِأنَّ لِجَميعِ المَرَدَةِ مِنَ الشَّياطينِ حَظًّا في الوَسْوَسَةِ[1]، فـ"﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في لغة العرب: كُلُّ مُتَمَرِّد من الجِنِّ والإنْس والدَّوابِّ وكُلِّ شيءٍ، وهو مُشْتَقٌّ مِن شَطَنَ بمعنى بَعُدَ، فهو بعيدٌ بطَبْعِه عن طباع البَشَر، وبعيدٌ بفِسْقِه عن كُلِّ خير"[2]، وكُلُّ ما يشغَل الإنسانَ عن ربِّه فهو شيطان؛ ومَن اسْتَبدَّت به نَفْسُه، وتَسَلَّطت عليه حتى شَغَلَتْه عن ربِّه، ولو بشهود طاعةٍ أو استحلاءِ عبادةٍ أو مُلاحظةِ حالٍ، فذلك شيْطانُه؛ والواجبُ عليه أن يستعيذَ باللّه من شَرِّ نَفْسِه، وشرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ.

و﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ من أوْصافِ الشَّيْطانِ الغالِبَةِ، أي: المَلْعونُ المَرْجومُ باللَّعْنَةِ أو المَطْرودُ أو المَرْجومُ بالكَواكِبِ[3].

بلاغة الجملة الشَّرطيَّة:

اقـــــتِرانُ الاســـتِـعـاذة بـالـقراءة لِنَيْل فضْلِها وبَرَكتِها

دَلَّت الجملةُ الشَّرطيَّةُ في الآية الكريمة على سُرعة الاستعاذةِ باللّه تعالى فوْرَ إرادةِ قراءةِ القرآن الكريم دونَ فاصلٍ زمنيٍّ؛ لينال المستعيذُ باللّه بَرَكَتَها وفضلَها بمجرَّد التَّلَفُّظِ بها.

إيثارُ الاستعاذة على البَسْمَلة:

اخـتـلاف مَقامَي اسـتـعـمـال الاسـتـعـاذة والبَسْملة

أوثرت الاستعاذةُ على البَسْمَلة لِمناسبتها لمقام الآيةِ الكريمةِ، وهو التَّحَصُّن بما يَدْفع وساوسَ الشَّيطان وهَمزَه ولَمزَه، وهذا يناسبه الاستعاذةُ لا البَسْمَلةُ الَّتي تُستعمل في مقام استِجْلابِ البَرَكَةِ واستِمطارها؛ وقد فصَّل ابن عاشور هذا بقوله: "وإنَّما لَم تُشْرَعْ لِذَلِكَ كَلِمَةٌ باسمِ اللّه؛ لِأنَّ المَقامَ مَقامُ تَخَلٍّ عَنِ النَّقائِصِ، لا مَقامُ اسْتِجْلابِ التَّيَمُّنِ والبَرَكَةِ؛ لِأنَّ القُرْآنَ نَفْسَهُ يُمنٌ وبَرَكَةٌ، وكَمالٌ تامٌّ،

(1) الفخر الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 20/ 117.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 353.
(3) القاسميُّ، محاسن التَّأويل: 10/ 3857.

فالتَّيَمُّنُ حاصِلٌ، وإنَّما يُخْشى الشَّيْطانُ أنْ يَغْشى بَرَكاتِه، فيُدْخِلَ فيها ما يُنْقِصُها، فإنَّ قِراءَةَ القُرْآنِ عِبارَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلى النُّطْقِ بِألْفاظِه، والتَّفَهُّمِ لِمَعانيه، وكِلاهُما مُعَرَّضٌ لِوَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ وسْوسَةً تَتَعَلَّقُ بِألْفاظِهِ مِثْلَ الإنْساءِ؛ لِأنَّ الإنْساءَ يُضيِّعُ عَلى القارِئِ ما يَحْتَوي عَلَيْهِ المِقْدارُ المَنسيُّ مِن إرْشادٍ، ووَسْوَسَةً تَتَعَلَّقُ بِمَعانيهِ مِثْلَ أنْ يُخْطِئَ فهْمًا، أوْ يَقْلِبَ عَلَيْهِ مُرادًا، وذَلِكَ أشَدُّ مِن وسْوَسَةِ الإنْساءِ، وهَذا المَعْنى يُلائِمُ مَحْمَلَ الأمرِ بِالِاسْتِعاذَةِ عِنْدَ الشُّروعِ في القِراءَةِ"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القراءةُ والتِّلاوةُ:

القراءةُ أعَمُّ مِن التِّلاوة

سبقَ الإشارةُ إلى الفرق بين القراءةِ والتِّلاوةِ تحتَ عنوان: (إيثار فِعْل القراءة على التِّلاوة)، فالتِّلاوةُ لُغةً: الاتِّباع؛ ومِنْهُ تِلاوَةُ القُرْآنِ، لِأنَّهُ يُتْبِعُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ[2].

والقراءةُ لُغَةً: الجَمعُ والضَّمُّ؛ ومَعْنَى القُرآنِ مَعْنَى الجَمعِ، وسُمّيَ قُرْآنًا لأنَّه يَجْمَعُ السّوَرَ فيَضُمُّها[3].

والفَرْق بَيْن الكلمتيْن: هو أنَّ القراءةَ أعَمُّ مِن التِّلاوة؛ لأنَّ القراءةَ مُجَرَّدُ التَّلفُّظ بالكلام مِن قرآنٍ وغيره، ولا يُشترط فيها عِلْمُ القارئِ بِما يقرأ، ولا أن يعمَلَ بِما قرأ، عمل أم لم يعملْ، بدليلِ قولِه تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: 14]؛ أمّا التِّلاوةُ ففيها معنًى زائدٌ هو الاتِّباع، فالتِّلاوة قراءةٌ على نَحْوٍ مخصوصٍ[4]، ولهذا اختير لفظُ القراءةِ في الآية، فهي المقصود هَهُنا.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 277.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: تَلَوَ.
(3) ابن منظور، لِسان العرب: قَرأ.
(4) محمد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 159.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»